مكتبة المقتطف

الانجليز في بلادهم

تأليف الدكتور حافظ عفيفي بك — طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بقطعة ٤٦٧ قطع المقتطف — ثمنه اربعون قرشاً

من المأثور ان اللورد بريس (Bryce) — وقد كان سفيراً لبريطانيا في وشنطن مدة طويلة — وضع أفضل كتاب عن جمهورية الولايات المتحدة الاميركية ونظمها السياسية وحالتها الاجتماعية بوجه عام. ذلك أن من كان مثل بريس مفكراً عميق التفكير، ومؤرخاً ينظر الى التاريخ وحوادثه والنظم السياسية وتطورها بعين الفيلسوف الاجتماعي، وفي الوقت نفسه غريباً عن البلاد التي يكتب فيها وانما تربطه بها روابط اللغة والثقافة والفهم، يستطيع ان ينظر الى حضارتها نظرة عميقة ومجردة عن الهوى في آنٍ واحد

قد لا يكون كتاب حافظ باشا عن الانكليز، خير كتاب أُلّف فيهم، ولكن الامر الذي لا يداخله الريب هو ان هذا الكتاب افضل كتاب عربي في موضوعه، وجدير بأن يوضع الى جانب المؤلفات الغربية، فيظهر عند المقابلة انها لا تزيد في شيء في الناحية التي اخذ بها الموضوع. ولا بدع في ذلك. فقد قضى حافظ باشا سنوات وزيراً مفوضاً للمملكة المصرية في بلاط سانت جيمس، وخالط الانكليز مخالطة الصديق للصديق، علاوة على مخالطة الوزير المفوض لرجال الحكم في البلاد التي يمثل ملكه فيها. وهو الى هذا رجل كامل الثقافة، واسع الاطلاع، دقيق الملاحظة، متوقد الذهن، فرأى ان اجل خدمة يستطيع ان يؤديها لقومه، الى جانب الدفاع عن مصالحهم في بلاد الانكليز، ان يكون رسول صداقة وفهم بين مصر وانكلترا. فأخرج كتابه هذا لقومه ليقرأوه وينفذوا من خلال صفحاته الى نظم الانكليز وتقسيمهم وطبائعهم في الحياة العامة. وبهذا الحال لو اكمل هذا العمل الجليل بالاعراب عن ضمير مصر في كتاب انكليزي يطالعه الانكليز فيكون حلقة اخرى في صلة التفاهم والصداقة بين الامتين

الكتاب ستة ابواب حافلة بحقائق التاريخ المتصلة بتطور الحياة السياسية والتجارية والفكرية في بريطانيا، وقد جمع شتاتها من ملاحظاته الدقيقة ومطالعاته الواسعة النطاق. فقد اشار سعادة المؤلف في نهاية كتابه الى اكثر من ثلاثين كتاباً معظمها بالانكليزية وبعضها بالفرنسية، طالعها وتمثلها في خلال دراسته للانجليز في بلادهم

فالباب الاول موضوعه الدستور البريطاني وهو بحث جامع بين الوصف الحالي والعرض التاريخي

جمعاً مزرياً . وعندنا ان هذا الفصل هو محك الكتاب . ومطالعتهُ تثبت ان المؤلف اجاد اجادة قليلة النظير . ذلك ان الدستور البريطاني ، لا يمكن ان يفهم الاَّ اذا عولج من ناحيتي التاريخ والوصف في وقت واحد . فهو ليس دستوراً مكتوباً في وثيقة واحدة ، قائماً على قواعد جامدة ، بل هو جانب من حياة الامة البريطانية في ناحية تدبير شؤونها العامة ، تسلسل معها على مر العصور وتطور بتطور حاجاتها وذهنيتها ومقتضيات العصر والحياة . فاذا حاول كاتب ان يقول لك ان القاعدة في نظم بريطانيا هي كيت وكيت فقد تستغربها وقد تستهجنها وقد تستبعدها . ولكنه اذا ارفق قوله ، بذكر مراتب التطوُّر التي مرّت بها تلك القاعدة ، وصلة ذلك باحوال العصر ، اصبح الدستور في نظرك شيئاً حيًّا ، واصبح لما تراهُ فيهِ من المفارقات مغزًى يعينك على الفهم

راجع صفحة ٤٨ وما يليها في موضوع « فصل السلطات » في الدستور البريطاني . فقد أشار المؤلف اولاً الى ما كتبهُ مونتسكيو وبلاكستون في هذا الصدد وكيف اعتبر الدستور الانكليزي احسن مثال لفصل السلطات في وقتها . ثم بيّن ان هذا المبدأ اخذ يضعف بنموّ مبدإ المسؤولية الوزارية . ولذلك خالف « بايجهو » الفيلسوف منتسكيو في نظرية فصل السلطات وقال ان آثارها ضعيفة في الدستور البريطاني الآن

خذ مثلاً استقلال القضاء عن السلطة التنفيذية . فقد اثبت ذلك سنة ١٧٠١ بقانون . ومبدأ استقلال القضاء معمول بهِ من ذلك التاريخ ولكن قانون سنة ١٧٠١ قانون عادي ويملك البرلمان تغييرهُ كما يملك اقالة اي قاضٍ من القضاة ولو انهُ لم يستعمل هذا الحق الى الآن . بل للبرلمان ان يصدر قوانين مخالفة لاحكام المحاكم . ثم ان مجلس اللوردات وهو جزءٌ من السلطة التشريعية ، هو كذلك السلطة القضائية العليا في البلاد . ورئيس مجلس اللوردات هو رئيس الهيئة القضائية اي وزير الحقانية فهو اذن احد اعضاء الهيئة التنفيذية . او خذ موضوع صلة السلطة التنفيذية بالسلطة التشريعية . فقد اتجهت سياسة البرلمان الانجليزي في السنين الاخيرة ، نظراً الى كثرة اعماله وتشعبها وتعقدها ، الى تحويل جانبٍ من سلطتهِ التشريعية الى الوزارة وهو ما يسميه الانكليز « السلطة بالوكالة » Delegated Powers ثم بيّن المؤلف بعضاً من نواحي هذا التحويل وما يوجه اليه من النقد . ثم ذكر كيف اعطيت السلطة التنفيذية بعض السلطة القضائية مثل حق مصلحة الجمارك النظر في القضايا الخاصة بالتهريب . وهذه جميعها حقائق قد تربك القارىء وتشوش ذهنه ولكن اتبع تعليق حافظ باشا عليها ، وتأمل فيهِ تخرج من تشويش هذه الحقائق اتساقاً ييسر لك الفهم : قال

«لهذه الاسباب يرى ان السلطات في بريطانيا ليست منفصلة انفصالاً تامًّا في الوقت الحاضر ، ولكنه ينبغي الالتفات الى ان ذلك الامتزاج التدريجي انما حصل تحت ضغط الحوادث القاهرة . لا رغبة في العدول عن مبدإ فصل السلطات . والواقع انهُ لم يحصل الى الآن في انكلترا طغيان من سلطة على اخرى مع ان الباب مفتوح على مصراعيه لاعتداء كل سلطة على حقوق الاخرى ، ويرجع

هذا من جهة الى تلك الفضيلة البارزة في اخلاق الانكليز السياسية وهي الشعور بالواجب واحترام حقوق الغير . ومن جهة اخرى الى استعدادهم الدائم متيقظ لوضع الامور في نصابها . وقد كان من نتائج هذه المرونة في اساليب الانجليز السياسية ان زاد التعاون بين السلطات المختلفة وقلت الشكوى من تعطيل المشروعات وتراكمها أمام مجلس العموم ومجلس اللوردات ، كما هو حاصل في جميع البلاد الدستورية الاخرى ، بعد ان صار لمجلس العموم الحق في ان يكل الى الوزارة تحت اشرافه عمل تشريع لاية مسألة ذهنية او مستعجلة . وان استمرار البريطانيين على احترام هذه التقاليد الدستورية قد جعل من هذا الدستور العتيق آلة ديمقراطية على احدث طراز لانها دائمة الاصلاح تتحرك باستمرار بدقة وانتظام فلم تقف عن العمل في اي دور من ادوار حياتها »

وبهذا الحال لو اتسعت هذه الصفحات لبيان حسنات هذا الكتاب النفيس في ما تناوله من شؤون الصحافة والتعليم والاعمال من وجوهها المختلفة . ولكننا سقنا ما تقدم مثالاً ناهضاً على ما حفلت به صفحاته من الدراسات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي نرى ان لا مندوحة لنا عن فهمها وتمثلها نحن الشرقيين ، وقد اخذنا نتطلع الى انظم الديموقراطية الصحيحة لنبني على قواعدها حياتنا القومية الجديدة . وكتاب حافظ باشا في هذا العدد دليل هادٍ

اسرار الطفولة وخفايا الشباب

تأليف ميلاد كفوري — طبع بمطبعة الهلال الجديدة — ثمنه ٨ قروش
يطلب من المكتاب ومن المؤلف بالجامعة الاميركية بالقاهرة

نشرنا في باب مملكة المرأة جانباً من فصل نفيس احتوى عليه هذا الكتاب المفيد . ولعل افضل كلمة نقدمها للوالدين والمدرسين ما قاله الدكتور امير بقطر في مقدمته : خيل اليّ وأنا اتصفح هذا السفر الصغير انني التمس جوهر الحقيقة في دياجير اغوارها كحجر الماس لا يلتقط الا في ظلمات المناجم . وهل في هذا ما يدعو الى الغرابة ؟ اليست الطفولة جبارة عتية ؟ اوليست الشبيبة متضاربة النواحي ، متشعبة المعارج ؟ وكيف يتسنى لامرىء ، درس الطبيعة الانسانية واختراق حجب اسرارها بغير ان تقطع عليه وعورتها السبيل ؟ . . . ان الموضوعات التي طرقها المؤلف في هذا السفر الصغير ان هي الا نظرة عجلى القاها على الطبيعة البشرية ، وليست الا جولات صغيرة في ميدان الطفولة ، والشبيبة . . . . فهي ترغب من له اتصال بجماعات الاطفال والشبان في التعمق في مثل هذه الابحاث ، واستيعاب بعض ما وصلت اليه الجهود العلمية من احدث النتائج وتطبيقها تطبيقاً علمياً محمود العاقبة يتفق وطبيعة الافراد ، واختلاف نزعاتهم وميولهم . . . . »
ومن الموضوعات التي طرقها المؤلف عارضاً آراء علماء النفس فيها . الغيرة والبكاء واغلاط الاطفال والخوف والتأديب واختلاط الجنسين وغير ذلك من الموضوعات التي تهم جميع المربين سواء الوالدين منهم والمعلمين

تاريخ الصحافة العراقية

معجم مفصل لجميع الصحف والمجلات والنشرات الدورية التي صدرت في العراق منذ عهد مدحت باشا حتى اواخر سنة ١٩٣٣ . عني بتأليفه الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني ، صاحب المؤلفات والمباحث المعروفة في شؤون العراق .. وكتب مقدمته الاستاذ الفيكونت فيليب طرازي مؤلف كتاب « تاريخ الصحافة العربية » ووصف الكتاب ومؤلفه في هذه المقدمة فقال :

« اما الكتاب الذي نحن بصدده فهو خليق بالثناء من وجوه شتى ، لانهُ جمع بين دفتيهِ خلاصة اخبار « صاحبة الجلالة العراقية » بدقة واقرة . وتضمن على صغر حجمه عناوين جميع الصحف التي ابصرت النور في تلك المملكة الفتاة مع اسماء منشئيها ومكان طبعها وتواريخ صدورها »

واقتتح المؤلف كتابه ببيان ما لقيه من عقبات في سبيل بحثه لقلة المراجع واهمال الحكومة واصحاب المطابع تدوين اسماء المطبوعات الدورية

ويؤخذ مما اوردهُ في مقدمته انه لم يكن في العراق قبل اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ غير ثلاث صحف كانت تنشرها الحكومة باللغتين التركية والعربية مرة في الاسبوع في كل من مراكز الولايات الثلاث : بغداد ، والبصرة ، والموصل

فلما اعلن الدستور ، انتعشت الافكار وانتشرت الصحافة في الامبراطورية العثمانية انتشاراً عظيماً فكان العراق احد الاقطار التي شم شذاها واقبل عليها اقبالاً كبيراً . فصدرت فيهِ خلال ثلاث سنوات زهاء سبعين جريدة بين سياسية وادبية وهزلية

ثم ضيَّق الاتحاديون الخناق على الكاتبين والمحررين والمفكرين فقلَّ عدد الجرائد والمجلات العراقية

ولما استولى الانكليز على العراق اخذوا ينشرون في البلاد بعض الصحف التي تروج مبادئهم وتحسن للناس سياستهم . فاصدروا جرائد : الاوقات العراقية ، والاوقات البصرية في البصرة ، العرب ودار السلام في بغداد والموصل والنادي العلمي في الموصل ونجمه في كركوك وسليماني وبيشكوتن في السليمانية الخ الخ

وبلغ عدد المجلات التي صدرت في العراق قبل الحرب العامة ٢٠ مجلة والمجلات التي صدرت بعد الحرب العامة الى نهاية سنة ١٩٣٣ — ٤٨ مجلة والصحف التي صدرت بعد الحرب وفي اثنائها ٦٩ جريدة بين ادبية وسياسية

والصحف التي صدرت بعد الحرب ١٤٤ منها ٦٠ جريدة اسبوعية و٨٤ ادبية . والكتاب على ما فيهِ من اجمال وابتعاد عن التفصيل لتاريخ الصحافة العراقية والمشتغلين بها والقوانين التي سنت للصحف في الوزارات المختلفة ، يعد وثيقة لها قيمتها عند من يعنون بتاريخ الادب الحاضر والصحافة العربية في انحاء العالم . وثمن النسخة من هذا الكتاب ٥٠ فلساً . ويطلب من مؤلفه ومن ادارة مجلة الاعتدال في النجف الاشرف

توفيق حبيب

بحث في الطائفة الاسلامية في فنلندا

بقلم الدكتور بشر فارس

نشر الدكتور بشر فارس في مجلة البحوث الاسلامية الفرنسية بحثاً جليلاً طريفاً عن الجماعة الاسلامية في فنلندا لم يطرقه باحث عربي من قبل لذلك رأت المجلة الفرنسية الكبرى نشر هذا البحث على حدة بعد نشره في صلبها فأصدرته بشكل كراسة هي التي نعالجها الآن

يبدأ الدكتور بشر فارس بحثه بذكر تاريخ هجرة المسلمين الى فنلندا فيقرر ان اصلهم من الاتراك والتتر غادروا روسيا على اثر الثورة البولشفية وهاجروا الى الشمال فأقاموا في فنلندا وكانوا قبلاً يعرفون هذه البلاد لاتصالهم التجاري بها

ويحصي الباحث عدد هؤلاء المسلمين الذين يبلغون ٦٤٨ اي نحو من ١٠٠ عائلة موزعة في سبع عشرة مدينة وقد اعترف مجلس الشورى بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٢٥ بالطائفة الاسلامية رسمياً . وتخضع الطائفة الاسلامية للشريعة القرآنية الكريمة في الاحوال الشخصية فالزواج مثلاً يعقده الامام والوفيات تسجل في دفاتره وما زال هؤلاء يعملون بالعادات الاسلامية كدفع المهر في الزواج ولوحظ ان بعضهم قد يتزوج من نصرانية ولكن بنيهم يقيدون في دفتر المسلمين . ويدرس صغار المسلمين في فنلندا القرآن الشريف باللغة العربية ويطالعون تاريخ الاسلام وتاريخ تركيا على الاخص باللغة التركية. اما اللغة العربية فلا يحسنون منها الا المبادىء الاولى والا التجويد . ولهم مدارس في القرى ويقيم ادباؤهم المحاضرات بين حين وحين . وهم مثقفون بالثقافة التركية وملتفتون نحو انقرة يعيدون عيد استقلال تركيا ويعلقون رسم الغازي في منازلهم

وفي فنلندا ثلاثة مساجد وحيث لامسجد لهم يجتمع المؤمنون في دار احدهم للصلاة يوم الجمعة وليس في فنلندا سوى امام واحد مأجور من المسلمين وحيث لا امام يتولى الصلاة اعرفهم باصول الدين ويقيمون الاعياد الدينية ويوزع الاغنياء العطايا والحسنات على الفقراء . والصيام عندهم غير اجباري في ايام يونيو ويوليو الطويلة ولكن يصوم من يريد في شهر آخر

وقلما حج مسلمو فنلندا الا واحد منهم . وتنعم المسلمة في فنلندا بالحرية نظير اختها الفنلندية ولكنها لا تراقص مثلاً فنلندياً وقد قال لي واحد : ان هذا الامر لن يطول

بمثل هذه التفاصيل القيمة يشرح الدكتور بشر احوال هذه الجماعة التي اكتشف مقرها وأبان ظروفها وموقفها الرسمي ازاء الحكومة وقليلون الذين كانوا يعلمون ما كتبه الدكتور عنها . وفي الكراسة رسوم وصور الامر الاسلامية ومدارس المسلمين واديتهم الرياضية والاجتماعية

ويزيد هذا البحث فضلاً ان صاحبه زار فنلندا بنفسه وخالط هذه الجماعة الكريمة ونزل بينها اياماً يبحث ويدقق ويتفهم ولا شك ان كشف الدكتور هذه « المستعمرة الاسلامية » في اطراف

اوربا عمل جليل يستحق من اجله كل الشكر لانه سهل للمؤرخين الذين يعنون بشؤون الاسلام مهامهم ووضع بين ايديهم وثيقة جديدة مكتوبة بصدق وامانة وعلم . وعلى ذكر ذلك نقول ان مجلة البحوث الاسلامية التي غنيت بنشر بحث الدكتور بشر فيها ثم بنشره على حدة هي لسان حال المستشرقين الفرنسيين يديرها حضرة المستشرق الكبير الاستاذ ماسينيون

قصص للاطفال

١ — قصص جغرافية — لكامل كيلاني — تولت طبعها ونشرها المكتبة العصرية بمصر
٢ — قصص علمية — لكامل كيلاني —

الحمد لله اننا بدأنا نلمس اثر الجهود التي بذلها روّاد مطالعات الأطفال في ما تنشره المطابع العربية الآن من قصص متنوعة الموضوعات والاشكال غرضها ان تبعث النشوة والسرور في نفوس الصغار وتحبب اليهم المطالعة العربية : ولا تزال كتب كامل كيلاني — وقد كان سبّاقاً في هذا الميدان — من خيرة ما تخرجه المطابع للاطفال ، شكلاً وموضوعاً واسلوباً ، وقد سبق لنا أن اشرنا الى بعض ما صدر منها في حينه . وأمامنا الآن قصص جغرافية للأطفال وفيها قصة رحلة لفنجستون الى قلب افريقيا . ومن حسنات المؤلف في هذه القصة ، انهُ عمد ، وقد تقدّم الأطفال الذين طالعوا قصصه السابقة في المعرفة والفهم ، الى تقطيع حديث الرحلة الأخاذ بفصول تفسيرية بديعة تناول فيها بعض الحقائق الجغرافية والتاريخية والأدبية المقترنة بالأنهر والجبال والغابات والشلالات وغيرها مما ورد ذكره في خلال القصة . وهو اسلوب مفيد اذا احسن المربي استعماله

أما كتاب القصص العلمية فيتناول فيهِ المؤلف حقائق معروفة ومشهورة ، وهي مع ذلك لا تخلو من غرابة، في التاريخ الطبيعي من حياة الحيوان والنبات في اسلوب قصصي . وفي آخر هذا الكتاب معجم لغوي للالفاظ العربية الصحيحة الخاصة بنسل الحيوانات المختلفة واجناسها ، وفصل وقفهُ على حياة النحل ويليه الالفاظ العربية الخاصة بالنحل ثم هناك معجم آخر لاعلام الحيوان ، وهذه المعاجم مما يكفي المربي مؤونة التفتيش في المطوّلات ساعات طويلة احياناً رغبة في العثور على كلمة واحدة

ومما لا ريب فيهِ ان لمؤلف هذه القصص فضلاً كبيراً على تنشئة الاطفال المتكلمين اللغة العربية ولذلك سرّنا صدور كتيب في ٩٥ صفحة يحتوي على ما قيل في حفلة تكريمه وعلى مختارات مما نشرته الصحف والمجلات الكبيرة في وصف مؤلفاته . ولكننا والحق يقال لم نستحسن عنوان « نقيب الادباء وملشيء الجيل» . وليس شعورنا هذا مصبوباً على هذا العنوان بحد ذاته ولكنهُ يتناول كل ما كان من قبيله من اصباغ الالقاب العامة على المؤلفين والكتّاب بحيث اذا مضينا في ذلك سنة اخرى او سنتين ، اصبحنا وكل كاتب أو اديب اميراً او نقيباً او ما الى ذلك من الالقاب التي لكثرتها قد تضيّع معناها ومغزاها فتختلط الاحكام وتضطرب المقاييس

شعر ابي شادي الجديد

١ — فوق العباب
٢ — الكائن الثاني

اذا تثقف عقل الشاعر من دون أن تطغى الثقافة على الشعور الدقيق والحس المرهف ، جلا لنا من عجائب الكون والحياة صوراً تغذي العقل وتهز النفس معاً . وهذا شأن ابي شادي ، في الغالب في ديوانيه الاخيرين . فالشاعر فيهما لم يكتف بترديد المعاني المطروقة في الغزل والنسيب وغيرهما من أغراض الشعر ، ولكنهُ ارسل القوافي تبحث عن الجمال الاعلى في عجائب الحياة ورحاب الكون متأثراً بالنظرات العلمية الحديثة ، حتى لترى بين قصائد السفرين موضوعات تحسبها عنوانات لكتاب علمي . ولكن أبا شادي لم يكتف — وأي شاعر يكتفي — بسرد الحقائق العجيبة التي كشف عنها العلم او انطوت عليها النظريات العلمية الحديثة ، بل دمج ذلك في الاعراب عما تركتهُ تلك المعاني في نفسه الشاعرة من الاحساس بالجمال والعظمة والتصوف ومعاني الانسانية السامية ، ولعل قصيدة « الأشعة الكونية » التي تفضل فأهداها الى رئيس تحرير هذه المجلة بعيد صدور كتابه «فتوحات العلم الحديث» من أبلغ الامثلة على ما ذكرنا . فقد أشار الى نظرية ملكين في تولد هذه الاشعة بقوله

امن الهواء اتيت منح عناصر تُسبى فكنت لها شهود عيانِ
ام من فناء الايدرجين تحولاً فيعود في النيترون ذاك انبائي

ولكن هذا التقرير لا يكفي الشاعر فيقول

من أين مصدرك الكريم الباني يا مأمل الأحياء والانسانِ
من نفخ خلاق الحياة فروحهُ روح الحياة وشعلة الايمانِ
ليست رحاب الكون غير رحابهِ والكون غير فتونهِ الفنانِ
جعل التفجر مبدأً لفنونهِ كتفجر الأطياف بالألوانِ
فاذا انبثاق الكون يوم اول (١) واذا المجرّة منهُ يوم ثانِ
واذا نظام الشمس يوم ثالث خلقتهُ صدفة ساحر فتانِ (٢)
واذا الحياة قصيدة علوية من هذه الأيام والأوزانِ

ومن هذا القبيل قصيدتاه في بلوطو (السيار التاسع الجديد) وما وراء المجرّة فقال في الثانية عن السدم التي خارج المجرّة

عوالم لا تحصى ولا هي تعرف ويا ربما المجهول منها المعرّفُ

(١) هنا الاشارة الى رأي ليمتر وده سذر وغيرهما في تفجر الكون وتمدده (٢) الاشارة الى اقتراب شمس من شمسنا فامدت فيها مداً وان بعد احتمال اقتراب مثل هذا يجعل ما حدث من قبيل الاتفاق او الصدفة

تناهت تناهت في الفضاء الى مدى يقصر عنهُ العالم المتهدف
فما قنصتها بؤرة[1] العلم مرة وان لم يفتها الشاعر المتصوف
رأى من وراء الكون آيات غيره يخط من النور الالهي يخطف الخ
ثم قال شقت هذا الكون حتى فضاؤه ومن خلفهِ عقل دقيق ومنصف
كأن رحاب الكون وجدان شاعر فكل فضاء فيهِ حيٌّ مثقفُ
وفيها «كونتات»[2] الحياة أجنةٌ وفيها من الذرات ما لا يؤلف
ولكنما للشعر من لبناتها عوالم باللحن السماوي تعزف

ولم يقصر الشاعر عنايته بهذه الموضوعات على الطبيعة والفلك الحديث بل تناول نواحي فتانة من التاريخ الطبيعي لا يتسع هذا الباب لدراستها جميعاً دراسة وافية . ومع ان الاندماج بين تقرير الحقائق العلمية والتعبير عن الشعور الذي توحي بهِ الى النفس لم يبلغ بعد ذروتهُ في هذا الضرب من شعر ابي شادي ، الاَّ ان الظاهرة في الشعر العربي جديدة تستوقف النظر فيسرنا أن نسجلها

نشأة الدولة الاسلامية

تأليف أمين سعيد . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاهُ . سنة ١٩٣٥

التاريخ الاسلامي كله لا يزال مادةً مبعثرةً منشرة ما بين كتب التاريخ التي ألفها سلفنا الامناء على الرواية في غير تبديل ولا تحريف وبين كتب الحديث والادب والشعر والمحاضرة وكتب الفقه الاولى كالام للشافعي وكتب الرجال الكثيرة . هذا على ان اكثر كتب التاريخ العربي لم تطبع بعد ككتاب التاريخ الكبير للمسعودي صاحب مروج الذهب وهو اكبر من تاريخ الطبري بكثير وفيه تفصيل للحوادث الكبرى في تاريخ الاسلام ثم ان كثيراً من امهات الكتب العربية قد ضاع كله او بعضه ككتاب أنساب الاشراف للبلاذري وغيره

أجلنا هذا لنعلم قدر ما يقاسيه طالب التاريخ وكاتبه من المشقة في تأليف مادة الحوادث التي يريد ان يجمعها ثم ينقدها ثم يؤلف بينها ثم يصل بين بعضها وبعض حتى يستوي له الوجه الذي يكتب عليه اعظم تاريخ واحفله وأروعه . ولا ننسَ ان مؤرخي العرب قد خفي عليهم ان يكتبوا كتباً مفردة في الاجتماع العربي والاسلامي من اول عهده الى عهودهم فعلى الكاتب ان يتتبع ذلك في كل كلة وحادثة من كتب اللغة الى كتب الفقه الى كتب التاريخ وغير ذلك حتى يكتب التاريخ كما يجب لا كما يتخيل

ونحن احوج الامم في هذا العصر الى الكتاب الذين يتولون نشر الكتب في تاريخنا الاسلامي

(١) أي عدسة التلسكوب المقربة (٢) مقادير الطاقة بحسب نظرية بلانك

العربي ، فان كل كاتب يؤلف من المادة التي تجتمع له كتاباً مهذباً يؤدي الى كل من يأتي بعده بدأ وحساناً ، ويمهد له سبيلاً مهما اختلفت الآراء وتباعدت المذاهب بل ربما كان هذا الاختلاف هو مهد الحقيقة الثابتة فيه تنمو وتمتد حتى تتكامل على الصورة المبينة التي لا لبس فيها ولا ابهام

وهذا الكتاب الذي ألفه الاستاذ امين سعيد هو من طلائع المؤلفات الجيدة في التاريخ الاسلامي فقد رتبه فأحسن ترتيبه واستخلص من امهات كتب التاريخ مادته كما انتقاها واختارها وجرى فيه على مدًى غير مضطرب يصل اول الامر بآخره على نسق واحد متجنباً ذكر اختلاف الرواة لئلا يشق بذلك على القراء الذين يريدون ان يتعرفوا الى التاريخ الاسلامي كما تعرفوا الى غيره من التواريخ في غير اضطراب ولا مشقة

***

بدأ المؤلف تاريخه كما يجب ان يُبدأ بمختصر وافٍ لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته وبعوثه وما أحدثتهُ الدعوة الاسلامية في نفوس الامة العربية . ولم يخلُ هذا الباب في السيرة النبوية من رأي صائب قد تفرد به الاستاذ وأضافهُ الى الحقائق التي تعتمد فيما بعدُ في كتابة تاريخ مفصل لهذا العهد الاول وهو عهد الرسالة

ثم انتقل من ذلك العهد بفصل جيد ذكر فيه تأثير وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب حتى كان اختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه للخلافة ، وهنا بدأت الطامة الكبرى التي كادت تودي بالمسلمين ألا وهي حرب الردة لولا حزم ابي بكر وعمر وائمة الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد استوفى المؤلف الكلام على حرب الردة وبين وقائعها واحدة واحدة وبخاصة ما أتى به خالد بن الوليد من دقة التدبير الحربي الذي أهله فيما بعد ليفتح العراق ثم الشام . وبعد ان فرغ من حرب الردة أزمع أبو بكر رضي الله عنهُ ان يفتح العراق فأرسل جيشه . وهنا يبدأ جزء مهم من الكتاب هو فتح العراق وفارس استقصى فيه المؤلف ما وصل اليه من علاقة العرب بالفرس في ايجاز جميل يوضح تاريخ هذا العهد بعض التوضيح . وقد كان قطب هذا الفتح القائد العربي النابغة (خالد بن الوليد) الذي مهد للمسلمين اسباب النبوغ الحربي ، وكان كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم (سيفاً من سيوف الله) وقد أحسن المؤلف في افراده ترجمة موجزة لخالد في هذا الموضع من الكتاب فان خالداً بعد ان استقرَّ به القرار وانذر كسرى فارس بالهجوم في موقعة فاصلة انتقل الى حرب الشام بجزء من جيشه بعد ان استخلف على بقية جيش العراق وذلك في خلافة عمر ابن الخطاب امير المؤمنين رضي الله عنه . وعلى هذا النسق يستمر الاستاذ امين في عرض تاريخ الاسلام عرضاً صحيحاً حتى آخر عهد عمر وقد كان عهده عهد الفتح الاكبر في دولة الخلفاء الراشدين

وننبه القارىء الى فصل جيد في آخر الكتاب فيه تلخيص أمهات المسائل التي تعرض لها المؤلف وتعليقٌ عليها « يساعد ايرادهُ على فهم كثير من حقائق التاريخ ويميط اللثام عن بعض خفاياهُ »